# الترجمـــة

## مناظرة سورل – ديريـدا

## التفكيك أو اللغة فى مختلف وضعياتها

د . مصطفى حنفى
أستاذ الفلسفة – كلية الآداب
تطوان – المغرب

(٦)

تحيل لفظة تفكيك على تيار نافذ فى النقد الأدبى الأمريكى . وليست النظرية المرتبطة به من إبداع نقاد الأدب ، بل تعود لأستاذ الفلسفة الفرنسى جاك ديريدا الذى يدين بكثير من أفكاره لكل من نيتشه وهايدغر. وإذا كان " كالر CULLER " يعتبر نفسه تلميذا لديريدا ، فقد جعل هدفه الأول عرض فلسفة أستاذه وإبراز كيفية تناولها " لأهم أسئلة النظرية الأدبية " ( ص ١٢ ) .

فعلام ينهض التفكيك على وجه التدقيق ؟ وما سر تأثيره فى النقد الأدبى الأمريكى إلى هذا الحد ولمّا يزال مجهولا لدى قطاع واسع من الفلاسفة الأمريكيين ؟ .

إننى على يقين أنه لو طلبنا من أغلبية ممارسى التفكيك إعطاءه تعريفا ما ، فهم لن يعجزوا عن تقديم تعريف واحد ، وإنما سيعتبرون هذا الطلب تجليا من تجليات " المركزية العقلية " التى يطمح التفكيك بالضبط إلى تفكيكها . إن المقصود عندهم بالمركزية العقلية الإهتمام بالحقيقة والعقلية والمنطق وما يميز التقليد

الفلسفى الغربى عامة . ويبدو لى مع ذلك أن الوسيلة المثلى التى ستسعفنا فى تقديم تعريف للتفكيك حتى نشرع فى العمل ، ترتكز على اعتباره ، بالإستناد فى ذلك إلى عدد كبير من ممارسيه ، مجموعة من مناهج مقاربة النصوص ومجموعة من الإستراتيجيات النصية الموجهة فى كثير من جوانبها إلى نسف منازع التمركز العقلى التى هى منازعنا نحن كذلك . إن إحدى مزايا كتاب كالر CULLER الكثيرة أنها تقوم على جرد لهذه الإستراتيجيات وتخصيص لقصدياتها المشتركة كذلك .

**إن تفكيك خطاب مايقوم على إبراز كيف ينسف هذا الخطاب الفلسفة التى ينشدها ، أو تراتبية التعارضات التى يستدعيها ، محددا فى النص العمليات البلاغية التى تضفى على محتواه أساسا مفترضا أو مفهومه المفتاح أو مقدماته المنطقية** " ( ص ٨٨ ) .

توجد عدة استراتيجيات من هذا القبيل ، ثلاث من بينها – على الأقل – تبرز بوضوح خاص . أولاها وأهمها عند التفكيكى ترتكز على الرصد المتربص لكل التعارضات الثنائية التقليدية ، التى تشكل جزءا من التاريخ الفكرى الغربى . وهو على سبيل المثال : كلام / كتابة ، مذكر / مؤنث ، حقيقة / خيال ، حرفى / مجازى ، مدلول / دال ، عمق / سطح. ففى تعارضات من هذا النوع ، يتمتع الطرف الأول الواقع على اليمين – حسب التفكيكى – بمرتبة عليا عن الطرف الواقع على اليسار . فهذا الأخير لايعدو أن يكون " مجرد تعقيد للطرف الأول أو نفى أو تجل له أو تشويش عليه ( ص ٩٣) . وهذه التعارضات المتراتبة ، يفترض تموقعها فى قلب التمركز العقلى وفى قلب اهتمامه بالعقلية والمنطق والبحث عن الحقيقة .

إن الهدف الذى يضعه التفكيكى نصب عينيه يكمن فى نسف هذه الثنائيات وبذلك ينسف التمركز العقلى ، وعليه يجب القيام بعملية قلب لهذه التراتبية فورا ، فهذا المسعى الذى يقوم على إبراز أن الطرف الواقع على اليسار هو السابق على الحقيقة وأن ذلك الواقع على اليمين مجرد حالة خاصة ، أو بتعبير آخر ، إن الطرف على اليسار هو شرط إمكان ذلك الذى يقع يمينا . فهذا النقل يفضى إلى نتائج عجيبة للغاية ، فبمقتضاها لايبرز الكلام إلا شكلا من اشكال الكتابة والفهم ، إلا شكلا من اشكال الإبهام . وما نعتبره لغة مشبعة بالمعانى يصبح فى الإمكان

اختزاله إلى لعب حر من الدوال ، بل إلى سيرورة غير متناهية تتنامى بفضلها النصوص فيما بينها . لكن هذه الحيلة لاتمثل غير المظهر الأول لإجراء يتم فى لحظتين ( " إشارة مزدوجة ، علم مزدوج ، كتابة مزدوجة" جاك ديريدا . هوامش ص ٣٩٢) وفى اللحظة الثانية يتعلق الأمر بالإنتهاء إلى " نقل عام للنسق " ( ص ٨٦ ) . إن الهدف يكمن إذن فى إعادة موضعه كل النسق القيمى الذى يفصح عن نفسه فى التعارض التقليدى أو تفكيكه أو إحداث نقل فيه ، فهذا بدوره يؤدى إلى نتائج عجيبة للغاية ، لأنه سيبدو من بعد أن كلا من الكلام والكتابة شكل من أشكال " الكتابة البدئية Archi-ecriture " وأن " كلا من الرجل والمرأة مجرد متغيرين للمرأة البدئية Archi- femme " ( ص ١٧١ ) ... الخ . إن " الكتابة البدئية " تبطل المفهوم المبتذل للكتابة " من خلال تزويدنا بمفهوم جديد سيتضمن من الآن فصاعدا الكلام والكتابة معا . أما بالنسبة إلى معرفة ماإذا كان المفهوم المبتذل للمرأة موجودا أم لا ، والذى يستدعى بدوره القيام بإبطال من قبيل ماسبق ، فهذا مالم ينجز صراحة . غير أنه يمكننا الإستنتاج بأن " كالر " مقتنع بذلك .

ترتكز الإستراتيجية الثانية على فحص الكلمات المفاتيح فى النص ، والتى تسمح له بالإنفلات ، على وجه التقريب ، من اللعبة . فبعضها " ينتمى إلى التعارضات الجوهرية فى مضمون النص ، غير أنها تشتغل بكيفيات تجعلها تنسف أيضا هذه التعارضات " ( ص ٢١٣) . والأمثلة التى يوردها " كالر " فى هذا الصدد هى Parergon عند كانط و Pharmakon ( الترياق ) عند أفلاطون و ( المكمل ) Suplement عند روسو و hymen عند ملارمى .

**هذه الألفاظ تمثل العبارات التى عندها تصبح المجهودات الموجودة للدفاع عن استنتاجات ذات نزوع نحو التمركز العقلى ، أو لفرض هذا النزوع ذاته . مجهودات تستشعرك فى نص ما بأنها لحظات قائمة وذات إزعاج غريب من شأن طبيعتها أن تنتج تعليقا مثمرا " ( ص ٢١٣) .**

المثال الذى يعرضه لنا الإكتشاف الدريدى لعبارة " المكمل " عند روسو ، وقد استعمل لاستحضار التجربة الجنسية لهذا الأخير ونظريته عن الكتابة فى آن واحد . فبقدر ما الكتابة – فى اقتراح روسو – مكملا ( للكلام ) بقدر ما العادة السرية مكملا ( للجنس ) . من ذلك يخلص ديريدا إلى القول : " فى سلسلة

المكملات كان من العسير عزل الكتابة عن الإستمناء " علم الكتابة " ( ص ٢٣٥) .

أما الإستراتيجية الثالثة فتقوم على إيلاء اهتمام ثابت ببعض المظاهر الهامشية فى النص كنوع الإستعارات التى تظهر فيه ، لأن مظاهر من هذا القبيل " تشكل قرائن لما هو مهم حقا " ( ص ١٤٦ ) .

(٢)

إذا توقفنا عند العرض الذى يقدمه " كالر " ، فإنه يجب القول إن التفكيك لم يبدأ بوجه خاص بداية مشجعة ، لكن ومن خلال نتائجه نحكم بأنه منهج للتحليل النصى . لنلتفت إذن إلى بعض الأمثلة التى يبين لنا من خلالها كل من" كالر " وديريدا أنها الإشتغال المفترض بالضبط (للتفكيك). فالمثال الأنموذج الذى يقترحه كالر ، ليوضح كيف إن العمليات والتخصيصات المختلفة للتفكيك " يمكن أن تتلاقى عند التطبيق " ( ص ٨٦) - هو ذلك المثال الذى يقدمه بوصفه تفكيكا نيتشيا ( نسبة إلى نيتشه) للسببية . يقول بهذا الصدد : **لنفترض أن شخصا أحس بألم ، وعن طريق الإستنتاج سيشرع فى البحث عن سبب . ولنفترض أنه لمح دبوسا ومن ثم سيستنتج من ذلك وجود رابطة ستقوده إلى قلب ترتيب الإدراك ، أو الظاهرة الماثلة أمامه ، أى ألم ... دبوس ، لصالح التعاقب السببى دبوس ... ألم . فالجزء البرانى من العالم الذى يمثله وعينا يعقب الأثر الذى يخلفه فينا ، ويتم إسقاطه لا حقا على إنه سببه** " ( ص٨٦) .

لحد الساعة ليس لدينا انطباع بتعرض أى شئ للتفكيك ، ولو أن كالر يخالفنا الرأى - لكن إذا رغبنا فى أخذ فكرة عن أسلوب البرهنة التفكيكية ، فلن يكون من غير المجدى المزيد من الإستفاضة فيه :

**لنكن على قدر أكبر من الوضوح فيما يستلزمه هذا المثال على بساطته ( ... ) إننا نزعم كون تجربة الألم هى السبب الذى على إثره نكتشف الدبوس ، وعليه يكون السبب المنتج لسبب ما ، ولكى نفكك السببية علينا العمل بمفهوم السبب وتطبيقه على التسبيب فى حد ذاته " (ص ٨٧) .**

إنطلاقا من هنـــا يتم " التأكيد على الحاجة إلى السبب . ودحض كلَ تسـويغ صارم يفضى إليه " ( ص ٨٨ ) . والأكثر من ذلك أيضا قوله :

يقلب التفكيك التعارض المتراتب للصيغة السببية . فـــالتمييز بيـن السـبب والأثر يجعل من السبب أصلا سابقا منطقيا وزمنيا . بينما يكون الأثر تابعا وثانويـا ورهينا بالسبب ، ودونما تمحيص للدواعى التى تقوم لصـــالح هـذه التراتبيـة أو لصالح إستلزاماتها ، فإننا نؤكد من خلال اشتغالنا فى قلب التعارض سبب / أثـر ، أن التفكيك يعكس التراتب عن طريق انتاج توزيع جديد الخاصيـــات . وإذا كـان الأثر هو السبب الذى يفضله يصبح السبب سببا ، فإنه حرى بنا إذن أن نعتبر الأثر أصلا وليس السبب وببياننا أن البرهان الذى يضمن للسبب موقعه يمكن اســتعماله لصالح الأثر، فإننا بذلك نكون قد استوفينا تفكيكيا للعملية البلاغية التى تنبثق عنـــها التراتبية وأحدثنا فيها نقلا دالا " ( ص ٨٨) .

وإذا كنت لاأزال بعيدا عن البرهنة على سلطة التفكيك فســأحاول أن أبيـن بالأحرى - من خلال المناقشة التى يقترحها كالير للمثال السابق وجود نسيج مـــن الغموض . وإليك بعض من أخطائه البارزة جدا :

١ - فى المثال السابق لاوجود بتاتا لأى شئ من شأنه أن يدعم زعمه بـأن " الأثر هو السبب المنتج لسبب " أو زعمه بأن " الأثر هو الســبب الـذى بفضلـه يصبح السبب سببا " وبالتالى ، فإن تجربة الألم هى السبب الذى يقودنا إلى البحـث عن سببها ، فهى ، إذن ، وبطريقة غير مباشرة ، سبب اكتشاف السبب ومن ثـم ، فإن الفكرة التى يحدثها السبب توجد بالضبط فى تعارض تقى مايوضحه فى الواقع هذا المثال .

٢ - إن عبارة " أصل " استعملت بمعنيين متمايزين ، فإذا كان "الأصـل " يعنى الأصل السببى ، فإن الدبوس سيكون هو " الأصل " السببى للأثـر . أمـا إذا كان يعنى الأصل الإبستيمى ، أى مايسمح لنا باكتشافه ، فستكون تجربة الألـم إذن هى أصل اكتشافنا لسببه . وهذا من شأنه أن يقودنا رأسا إلى ارتكاب لبس عـوض أن يدفعنا إلى استنتاج وجود معنى أحادى للفظة " أصل " لحد القـول إن " الأثـر وليس السبب هو مايجب اعتباره أصلا " .

٣ – لاوجود لأية تراتبية منطقية بين السبب والأثر ، فهذان المفهومان متضايفان وكل منهما يتعرف بتعريف الآخر . فعلى سبيبل المثال الـ " O.E.D " يعرف السبب بأنه " ماينتج أثرا " و " الأثر " بأنه "مايملك سببا " أو ماهو " منتوج سبب ما " .

٤ – على النقيض مما يزعمه كالر ، لاشئ فى المثال الذى اختاره من شأنه أن يثبت بأن التسبيب يعوزه " تسويغا صارما " أو أن " نقلا دالا " قد حصل . فآراؤنا المسبقة عن الحس المشترك والمتعلقة بمفهوم السببية ، تستحق – بالتأكيد – معالجة ونقدا دقيقين . ومع ذلك لانجد فى نقاش كالر مايلزمنا بإجراء أى تقييد فى تصوراتنا الساذجة عن السببية .

بالتأكيد ، فمن الإجحاف إدانة التفكيك على أساس هذا المثال الوحيد ولو كان يمثل فى نظر كالر أنموذج قوة يمنحه شخصيا للمنهج التفكيكى . لنلتفت الآن إلى مثال للتفكيك الذى يستحضره ديريدا باستمرار . ويتعلق الأمر بتفكيك التعارض القائم بين " الكلام والكتابة " بهدف إثبات أسبقية الكتابة – فى الحقيقة – على الكلام، وأن هذا الأخير – فى الحقيقة – شكل من أشكال الكتابة . فمن أول وهلة تبدو هذه المسألة ثانوية فلسفيا ، ولو فى ميدان كميدان فلسفة اللغة ، إن أغلبية الكتاب لايولون أدنى اهتمام بالإختلافات والتشابهات الموجودة بين الكلام والكتابة . أما " جاك ديريدا " فيوليها أهمية حاسمة . فهو يعتقد بأن " الإمتياز " الذى تحظى به اللغة المتكلمة ، يكون على حساب الكتابة ، وأن " قمع " الكتابة ليس إلا " عملية أساسية ومحصلة حقبة زمنية برمتها " تلك التى بدأت مع " أفلاطون " وتأبدت من خلال التمركز العقلى للفلسفة المعاصرة ، باختصار ، إن هذا التمركز يستند إلى التمركز الصوتى . وإليك بهذه الفقرة النموذجية التى سأستشهد بها مستفيضة كى أظهر بجلاء الطريقة التى يعبر بها ديريدا ذاته :

**" إن امتياز الصوت لايتعلق باختيار كان فى الوسع تجاوزه ، فهو استجابة للحظة اقتصادية ( لنقل لحظة " حياة " أو " تاريخ " أو لحظة الـ " كائن فى علاقته بذاته " ) . إن نسق " الفهم – الكلام " عبر المادة الصوتية والذى يتمظهر بوصفه دالا غير برانى وغير مادى ، ومن ثم غير اختبارى أو غير حادث ، كان لابد أن يهيمن طوال حقبة من تاريخ العالم ، بل وأن يحدث – رأسا – فكرة العالم**

**نفسها وفكرة أصل العالم من خلال الإختلاف بين المادى ونقيضه وبين البرانى والجوانى وبين المثالية ونقيضها وبين العام والخاص وبين المتعالى والتجريبى ... " إلخ ( علم الكتابة ص ١٧ عن كالر ص ١٠٧ ) .**

من أول وهلة نقول : ذاك هو الإثبات الذى يبدو شاذا. فالتمييز بين الكلام والكتابة لايمثل أية أهمية خاصة ، لاعند " أفلاطون " ولا عند " أرسطو " ، ولا " طوماس الأكوينى " ولا " ديكارت " ولا عند " اسبينوزا" ولا " هيوم " ، وغيرهم . فـ " أفلاطون " وحده ضمن قائمة الفلاسفة السابقين ، من يقيم عليه " ديريدا " الحجة بأنه قد أولى الكلام امتيازا ما . فلقد أعلن فى كتابه فيدرا " Le Phedre بعض الملاحظات حول استحالة استنطاق النصوص المكتوبة . أجل إن أفلاطون يؤكد حقا إمكان مساءلة أشخاص متكلمين واستحالة القيام بنفس الإجراء حين يتعلق الأمر بنصوص مكتوبة . لكن علينا أن نؤكد كون جميع هؤلاء الفلاسفة يتصدون بالمعالجة لقضايا من قبيل العام والخاص ، المتعالى والتجريبى وغيرها . تلك القضايا التى لاتنشأ عن التمييز بين المنطوق والمكتوب ، كما لاترتبط بالوضع " الإعتبارى " للمنطوق . فـ " هورسل " باعتباره من بين أولئك الفلاسفة الذين يستهدفهم " ديريدا " ، يمثل حالة نادرة ، إن لم تكن الوحيدة . والذى تكتسب عنده الدلالة فى اللغة المنطوقة حضورا أرقى مما هو عليه الشأن فى النصوص المكتوبة. فبالعودة إلى تأويل ديريدا لهورسل وللفلسفة . وتبعا لذلك تأويله لـ " تاريخ العالم طوال حقبة برمتها " بما فى ذلك الحاضر الراهن ، سيكون من الضرورى آنئذ تمتيع الكلام بحظوة وهمية فى مقابل الكتابة .

إذا كان يجب تقدير إثبات ديريدا من حيث قيمته المباشرة فما علينا إلا أن نعترض عليه - فيما يبدو لى - بحجة لاتقل عنه معقولية ، إن لم تفقه . وبإمكاننا على هذا الأساس أن نبين بأنه ، مرورا بالخاصيات الكلية Caracteristicas universalis لليبنتز وصولا إلى " فريجة " وراسل والتطورات التى شهدها المنطق الرمزى حاليا ، يمكن القول إن العكس بالضبط هو ماحصل . فبما أن الأولوية كانت عندهم للمنطق والعقلنة فإنهم كانوا مدفوعين للإهتمام المسبق باللغة المكتوبة باعتبارها الحامل البدهى للعلاقات المنطقية . وإذا ما تأملنا الفلسفة الحالية نلاحظ بأنه كان علينا أن ننتظر الخمسينات من هذا القرن كى يصدر حكم يستعملها

المنطق الرياضى . لهذا لايجب النظر إلى الإثباتات الراجة التى يصدرها ديريدا عن " تاريخ العالم طوال حقبة كاملة من الزمن " وكأنها تعبير عن رؤية قيامية وإنما مجرد محصلة لنقص فى معلوماته دون قيد ولا شرط .

ماهو مدهش وغير محتمل إطلاقا ، فى إثباتات ديريدا ، يسمح مع ذلك بوجود برهان أكثر عمقا يجدر الإلتفات نحوه . أما فيما يخص المحاولة الرامية إلى توضيح كون الكتابة فى الحقيقة سابقة وأن الكلام شكل من اشكال الكتابة ، فتقتضى استراتيجية ديريدا تعيين السمات التى يستمدها المفهوم الكلاسيكى للكتابة إلى الكتابة لكى نبين بعد ذلك أن هذه الخواص تنتهى بنفس القدر إلى الكلام . وهكذا فكما تتحمل الألفاظ المكتوبة التكرار Repetition تتحمله كذلك الألفاظ المنطوقة . وبعبارات ديريدا المفضلة فإنها " قابلة للتكرار " iterables وتشترك فى مواضعة إمكان فهمها فهما غير مناسب وإمكان استدعائها على نحو أساسى لنسق من الإختلافات . وتلعب هذه الخاصية الأخيرة دورا حاسما فى الإستدلال . ذلك أن أفكار ديريدا تستلهم عمل اللغوى السويسرى " فرناند دوسوسير، الذى كتب مايلى : " إن الفونيمات ، عكس مايمكننا أن نعتقد ، لاتتميز بصفاتها الموجبة ، بل بكونها متمايزة ببساطة . فالفونيمات تتحد فوق كل شئ باعتبارها كيانات تعارضية نسبية وسالبة " سوسير ( ص ١٢٠) . وعليه فإن وظيفة الفونيم (t) مثلا فى كلمة table لاترتبط بصفاته السمعية الخاصة به ، وإنما بانتمائه إلى طبقة مخالفة لطبقة الصفات السمعية لعناصر أخرى تسمح لنا بتمييز table عن sable و bol عن sol .. الخ . لذا فإن اللغة تستند إلى نسق من العناصر اشتغالها الجوهرى مرتبط بالإختلافات الموجودة بين عناصر النسق . إن الأمر يتعلق بنقطة هامة ، لكن لنرى ماذا سيصنع منها ديريدا :

**إن لعبة الإختلافات تقتضى بالفعل تركيبات وإحالات يمتنع بمقتضاها على أى عنصر بسيط ، فى أية لحظة وبأى معنى ، أن يحضر لذاته ، وأن يحيل إلا إلى ذاته . فسواء فى نظام الخطاب المنطوق أو المكتوب لايمكن لأى عنصر آخر أن يشتغل بوصفه دليلا signe دون الإحالة إلى عنصر آخر بدوره لايحضر ببساطة فهذا الترابط يقضى بأن كل " عنصر " سواء كان فونيما أم رسما ، يتشكل من خلال الأثر الذى يحمله من عناصر أخرى فى السلسة أو فى النسق .**

**إن هذا الترابط وهذا النسيج ليسا شيئا آخر غير النص الذى هو نتاج تحول نص آخر . فلا شئ يوجد البتة فى العناصر بذاتها وفى النسق حاضرا أو غائبا ببساطة . ومن جهة أخرى لاتوجد سوى الإختلافات وآثار الآثار ( مواقف . ص ٣٨ ) .**

يتميز محتوى هذه الفقرة عن تصورات سوسير بتحوير خطير . فالإدعاء المبرر ، الذى بمقتضاه لاتشتغل عناصر اللغة بما هى كذلك ، إلا بناء على مايوجد بينها من اختلافات ، قد تم استبداله بادعاء مغلوط يقضى بأن هذه العناصر ذاتها " تكمن فى " آثار عناصر أخرى ( كالر ) أو " مكونة من " آثار عناصر أخرى غيرها ( ديريدا ) وأنه حيثما كان لاوجود إلا للإختلافات وآثار الإختلافات " .

غير أن الأطروحة الثانية لاتعادل الأولى بل لاتصدر عنها بتاتا لأن طريقة اشتغال العناصر تقوم على العلاقات التى تربطها هذه العناصر فيما بينها ، ومن ثم لايجوز مطلقا استنباط من قبيل " لاشئ لا فى العناصر ولا فى النسق ولا فى أى كان حاضرا أو غائبا ببساطة " أو من قبيل " حيثما كان لاوجود سوى للإختلافات وآثار الآثار " .

ففى الحقيقة ، وكما رأينا فى التفكيك الذى أجراه كالر على السببية، نلاحظ بأن مايفصح عنه الإستدلال يتموقع على النقيض مما يريد ديريدا أن يفصح عنه : فلنضرب مثلا بالقول التالى " القط على السجاد " إذا كنت قد فهمته كما أفهمه ، فذلك راجع إلى كونى أعرف كيف يمكن أن يدخل فى علاقة مع مجموعة غير متناهية من أقوال أخرى ، من قبيل " الكلب على السجاد " ، " القط على الكنبة " الخ . وإذا كنت أفهم الإختلافات الكائنة بين القولين التاليين : " القط على السجاد " و " الكلب على السجاد " كما أفهمهما بالضبط ، فذلك لأن لفظة " قط " حاضرة فى القول الأول وغائبة فى الثانى ، فى حين غابت لفظة كلب فى الأول وحضرت فى الثانى . لذا فإن نسق الإختلافات لايهدم فى شئ التمييز بين الحضور والغياب ، بل على عكس من ذلك ، يقوم نسق الإختلاف على نسق من الحضور والغياب ، بل على عكس من ذلك ، يقوم نسق الإختلاف على نسق من الحضور ونسق من الغياب . ومن ثم فإن طمس العناصر لصالح الآثار يشكل أحد مفاتيح الفلسفة الديريدية للغة ، بل مفتاحها الأساسى ، إن لم يكن مفتاح ميتافيزيقا التفكيك كليا كما

نستطيع التوضيح لاحقا . لأن الخطوة التالية ترتكز على زعمه بأن اللغة تختـــزل فى مجموعة ما من " الآثار التواضعية " . وما أن ينجز ديريدا هذه الخطوة حتـــى يصبح بإمكانه، دون صعوبة ، إعادة تعريف الكتابة بنفس الطريقة التى يعرف بـــها كل لغة ، منطوقة كانت أم مكتوبة ، تؤول إلى الكتابة : فـ " الأثر التواضعى هـــو الإمكان المشترك بين جميع الأنساق الدلالية " ( علم الكتابة ص ٤٨ ) . ومنذئـــذ ، تصبح الحجة القائمة على أن الكلام كتابة فى الحقيقة – من سهولتها – غارقة فـــى التفاهة . وبما أنه قد تمت – بادئ ذى بدء – إعادة تحديد الكتابـــة بشـــكل يجعلـــها تشمل المنطوق والمكتوب معا ، سننتقل إلى الفقرة التاليـــة التـــى تعكـــس ذلـــك – بإسهاب على سبيل التوضيح أسلوبا و " مادة " على حد سواء .

**إن النزعة الفونولوجية لاتعانى من أى اعـــتراض ، مـــادامت التصـــورات السائدة عن الكلام والكتابة ، تحتفظ بالنسيج الصلب لبرهنتـــها . تصـــور شـــائع ويومى ، وفى تنام وليس من التناقض أن تكون مسكونة بتاريخ قديـــم ، مســـيج بحواجز ، ولو تعذرت رؤيتها فهى مع ذلك من الصرامـــة بمكـــان . إننـــا نريـــد بالأحرى الإشارة إلى أن الإشتقاق المزعوم من الكتابة مهما كان واقعيا وقويا لـــم يكن ممكنا إلا بشرط وحيد : هو أن اللغة " الأصلية " و " الطبيعة " الـــخ ماكـــانت لتوجد وماكانت بكرا ولاغير ممسوسة من لدن الكتابة . وأنها كانت هـــى ذاتـــها كتابة . الكتابة البدئية التى نود تعيين ضرورتها ومفهومها الجديد – فسوف لـــن نستمر فى تنسميها كذلك إلا كونها تفضى جوهريا إلى المفهوم المبتذل عنها الذى لم يكن ليفرض تاريخيا إلا بطمس الكتابة البدئية . وتتويج الرغبة فى كلام يطـــرد مغايره وبديله . ويختزل اختلافه . وإذا كنا نلح على تسمية ذلك الإختلاف كتابة ، فلأنه ، وبفعل القمع التاريخى ، ظلت الكتابة ، من حيث موقعها ، منذورة للدلالـــة عما هو رهيب فى الإختلاف ، بمعنى آخر ، كانت تعنى مايهدد الرغبة فى الكـــلام الحى . ذاك ما أضر بها ( بالكتابة ) من الداخل منذ البداية . أما الإختلاف، فنحـــن نكابده تدريجيا ، لايفكر فيه من غير الأثر . ( علم الكتابة ص ٨٢ ، ٨٣) .**

لما يستنفذ معالجة الجهاز الخطابى القـــائم علـــى الآثـــار والإختلافـــات – باعتبارهما معرفان للكتابة والنصية – لايبق إلا الإنتقال لتطبيقـــه بـــلا اكـــتراث ، وعلى كل الأشياء . سواء تعلق الأمر بالتجربة أو بتميز الحضور عن الغيـــاب أو

الواقع عن التمثيل . وحينما تعين الكتابة على اساس الإختلافات والآثار ويعلن عن وجودها حيثما كان . ينعدم مبرر الإندهاش من أن نكتشف على أنه فى الواقع كل شئ ماهو إلا كتابة " ماكان موجودا سوى الكتابة . ومكملات ودلالات استبدالية لم تتمكن من الظهور إلا فى سلسلة من الإحالات التخالفية . بقدر ما سنكتشف بأن ماهو " واقعى " لايحدث ولاينضاف إلا إذا حمل معنى . وانطلاقا من أثر وباستدعاء مكمل ، الخ ( علم الكتابة ص ٢٨٨ ) يضيف أيضا " لايوجد ماهو خارج النص " ( ص ٢٢٧ ) .

بالإستجماع الذهنى ، لكل ماسبق ذكره ، يمكننا الآن مباشرة تقويم عام للعملية التى بفضلها يصبح تمييز الكلام عن الكتابة قابلا للتفكيك .

١ - إن القراءة الشاذة لتاريخ الفلسفة الغربية ، أجرت على الفلاسفة وزر ماتعرضت له الكتابة من إدانة شاملة لصالح الكلام المنطوق غير أن هذه الإدانة غير محللة بقراءة حقيقية للنصوص المنسوبة للإعلام المهيمنة على التقليد الفلسفى . إن ديريدا لايتناول بطريقة دقيقة سوى ثلاثة من كبار هؤلاء الأعلام : أفلاطون وروسو وهوسرل ، يجذبه إليهم، فى الحقيقة ، اعتقاده الراسخ بأنه ، فى مسألة التمركز العقلى ، كل شئ يدور حول مسألة الكتابة . فما أن يبدو له من الممكن أن يستشف تحديدا - من خلال الخاصيات المنتمية لمفهوم معاد تعريفه بشكل ملائم - للمسائل التى انشغل الفلاسفة بها ، كانشغالهم بمسألة الحقيقة والواقع ، الخ حتى يعتبر ديريدا نفسه بصدد تفكيك لهذه المفاهيم .

٢ - أن الحجة الداعمة للقول بأن الكلام يعود فى نهاية المطاف إلى الكتابة، وأن هذه الأخيرة سابقة عليه ، حجة تستند إلى إعادة تعريف، غير أنه بواسطة مناهج من هذا النوع بوسعنا إثبات أى شئ من قبيل الأغنياء فقراء فى الحقيقة وأن الصدق كذب .. الخ . وعليه ، فإن الفائدة الوحيدة التى يمثلها مجهود من هذا القبيل ، تظل كامنة فى الحوافز الموجهة لإعادة التحديد .

٣ - إن الحوافز الموجهة لإعادة تحديد الكتابة ، تلك التى تهدف إلى تعديل التصور الشائع عنها ، لاترتكز على دراسة تجريبية بحتة ، دراسة للتشابهات والإختلافات الموجودة بين الشكلين . فما من حالة تقضى بأن يكون الكلام منطوقا

والكتابة مكتوبة مثلا ، أو حالة تجنح بمقتضاها النصوص المكتوبة – بحكم الآثار الخاصة بها – إلى التمتع بديمومة زمنية ، ليست الكلمات المنطوقة أهلا لها . فهذه الحوافز تقوم على تصور خاطئ للصيغة التى تشتغل وفقها الإختلافات . إنه تصور غير برئ بتاتا ، لأنه مرصود لتزويد جهاز الكتابة – كما تم تخصيصها – بقدرة تطبيقية على التجربة والواقع ، قدرة فى غاية الشمولية.

أتمنى أن تكون الفقرات المذكورة سابقا ، على قلتها ، كفيلة بتوضيح أسلوب الكتابة الديريدية . فلقد سبق " لمشيل فوكو " أن نعت هذا المسعى " بالظلامية الإرهابية " عند ديريدا . فما كتبه حالك الظلمة لدرجة يستحيل معها التقدير الدقيق لمرتكزات الأطروحة التى ينافح عنها ( هنا مبعث " الظلامية " ) وحتى إن تعهدناه بالنقد ، فلن يكون رده غير قوله ( " إنكم قد أسأتم فهمى إذن أنتم بلداء " ومن هنا مبعث الإرهابية ) .

(٣)

فماذا نحن منتظرون من التفكيك ؟ يمكن القول ، بطريقة تخصيصية ، إن التفكيكى لايسعى إلى إثبات ولا إلى فروض . كما أن طموحه ليس هو الوصول إلى الحقيقة [٢]. لأن هذه المفاهيم وأقاربها لصيقة الإرتباط بالتمركز العقلى الذى يسعى إلى تجاوزه ، بل تطلعه موجه إلى نسف ومساءلة وتجاوز وانتهاك التواطؤات وتعريتها ، فما يسدد إليه لايقف عند حدود مجموعة من النصوص الفلسفية والأدبية ، وإنما يتعداها إلى التصور الغربى للعقلنة ولمجموع المسبقات المضمنة فى تصوراتنا عن الكلام وعن العلم وعن المعنى المشترك : كالتمييز – مثلا – بين الواقع والظاهر ، الحقيقة والخيال .

حسب كالر إن " مفعول التحاليل التفكيكية – كما يشهد به العديد من القراء – يمكن فيما يمنحه من معرفة ومن مشاعر السيطرة " ( ص ٢٢٥)

فما يزعج فى هذا الإثبات ، هو أنه يفرض إمتلاكنا الوسيلة التى بواسطتها نستطيع التمييز بين مشاعر السيطرة المبررة والتى بالإمكان أن تكون مشاعرنا الخالصة . وبين ماهو مجرد حماس تحدثه حالات كثيرة من الهذر المغرور . إن

الأمثلة التى يضعها بين أيدينا كل من كالير وديريدا ليست بوجه خاص مقنعة ، ففى كتاب كالير أمثلة من تلك المعارف وذلك التحكم الذى يمنحانهما التفكيك ، أمثلة من قبيل : الكلام شكل من اشكال الكتابة . والحضور نوع خاص من الغياب ( ص ١٠٦) والهامش مركزى فى الواقع ( ص ٤٠) والحرفى استعارى ( ص ١٤٨). والحقيقة ضرب من الخيال ( ص ١٨١) . والقراءة شكل لقراءة مغلوطة ( ص ١٧٦) والفهم شكل من اللبس ( ص ١٧١) . فبعض القراء سيتولد لديهم – ربما – انطباع بأن مايهيمن أكثر على قائمة من هذا القبيل، هو الرتابة وليس الإحساس بالسيطرة والتحكم . حيث يهدف النثر فى الكتابة التفكيكية باستمرار إلى إحداث تأثير على مستوى العمق لأنه (النثر ) مؤسس على ملاحقة المفارقة من قبيل " الحقائق خيالات تداعت للنسيان حقيقتها " ( ص ١٨١ ) .

يوجد ماهو أغرب من ذلك ، إذ يسعد المشرحين ، من غير شك ، أن يعلموا بأن " مانميل لاعتباره الفضاءات والأماكن الأكثر حميمية فى أجسادنا كالفرج والمعدة والمعي كلها يختزل فعلا لتصبح محض جيوب مدمجة خارجيا " ( ص ١٩٨) . أما المناطقة فلا ريب سينشرحون إذا علموا بأن التمركز العقلى هو نفسه التمركز القضيبى . ذلك لأن لفظة التمركز القضيبى – حسب ديريدا – تتضمن إثباتا لهذا التورط حيث يقول " يتعلق الأمر بالنسق الوحيد ذاته أى انتصاب العقل الأبوى وبالقضيب باعتباره " دالا ذا امتياز " ( ديريدا ، ذكره كالر ص ١٧٢ ) .

(٤)

لقد تحدثت حتى الآن ، وكأنه بوسعنا أن نرى فى تأويل كالر إنعكاسا أمينا لتصورات ديريدا ، لكننى أظن بأنه يقدمه لنا فى صورة أجمل وأسوأ ، فى نفس الوقت ، عما هى عليه فى الواقع ، صورته فهو يعرض الصورة الأجمل بتركه جانبا العديد من المظاهر التى لايمكن احتمالها فى فلسفته أو يلجأ إلى تنميقها . إنه لايشفى غليلا حين يتحدث – مثلا – عن التفكيك الذى يقيمه ديريدا للفكرة المتعلقة بإمكانية تمثيل النص – أحيانا – للعالم الواقعى . كذلك الأمر حين يتطرق للإثبات الديريدى الذى بمقتضاه يصبح كل ماهو خارج النص معدوم " لايوجد ماهو خارج

النص ، فهذه الفكرة كما لاحظت مرتبطة باقتناعه أن الكلام يعود – فى الواقع – إلى الكتابة . وعليه فإن الصورة التى تتكون لنا عن ديريدا من خلال كل ذلك . تضعه فى مستوى من السطحية أشد حدة مما هو عليه حقيقة . إنها تجعل منه المحرك القابع خلف العديد من الكشوفات فى معالجة النصوص . لكن " كالر " – على مايبدو – لم يتمكن من استيعاب المشاكل فى عمقها الفعلى ، مثلما يراها ديريدا. بقدر مايبدو أنه لم يعِ بأن ديريدا كان بصدد الإجابة عن كثير من الطروحات النوعية الخاصة بـ " هوسرل " ، مثلما لم يع بأن الأسلحة المستعملة لهذه الغاية مستمدة من " هيدغر " فى كثير من جوانبها . إن كالر لم يحل بتاتا – فى فهرسته – على " هوسرل " . اللهم إحالة واحدة على هيدغر . فلدى اعتقاد راسخ بأن مؤلف ديريدا – وعلى الأقل – الأجزاء التى قرأتها ، غير قابلة للإختزال فى سلسلة من المهارات والتشوشات . فصاحبه يتصدى لمسألة هامة غير أنه يرتكب فى الوقت نفسه خطأ على نفس القدر من الأهمية . إن التقليد الفلسفى بدء من ديكارت وصولا إلى هوسرل ، فضلا عن جزء غير يسير من هذا التقليد الذى ينحدر إلى أفلاطون . يتمثل لنا باعتباره بحثا عن الأسس سواء تعلق الأمر بالأسس اليقينية ميتافيزيقيا للفكر ، أو بأسس اللغة والمعنى أو بأسس الرياضيات ، والأخلاق وغيرها .

إن هوسرل ، فى بحثه عن مثل هذه الأسس كان يلجأ لاختبار مضمون تجربته الواعية ، معلقا أو جاعلا بين قوسين مسلمة الإحالة إلى العالم الخارجى . لكن فى القرن العشرين وتحت تأثير فتجنشتين وهيدغر أساسا ، ترسخ ، والحالة هذه ، الإقتناع بأن الثمن الممنوح لبحث شامل عن أسس من هذا القبيل ، هو تضليلنا . لأنه لا الأخلاق ولا المعرفة تمتلك اسسا ، بالمعنى الذى تفترضه الميتافيزيقا الكلاسيكية . فنحن لانمتلك سلطة تأسيس اللغة والمعرفة ، بالمعنى التقليدى لهذه السلطة ، إرتكازا على المعانى الإخبارية لأن " معانينا الإخبارية مشبعة قبلا باستعمالاتنا اللسانية والإجتماعية . فلقد كان ديريدا مصيبا لما اعتبر بأن أسسا من هذا القبيل منعدمة . لكن ، يعود ليرتكب الخطأ الذى يجعل منه مجرد فيلسوف ميتافيزيقى تقليدى . ذلك لأن الخطأ الفادح للميتافيزيقى التقليدى لايكمن فى اعتقاده بوجود أسس ميتافيزيقية . بل فى اعتقاده بلزوم مثل هذه الأسس ، بشكل أو بآخر . وأن شيئا ما سيضيع بغيابها أو سيكون مهددا أو موضع تساؤل وشك . فهذا

الإعتقاد هو مايتقاسمه ديريدا مع التقليد الذى يحاول تفكيكه ، صحيح إن ديريدا مقتنع بأن مشروع هوسرل فيما يخص التأسيس المتعالى للعلم واللغة وللمعنى المشترك فاشل، لكن مالم يتوصل إلى إدراكه هو أن هذا الإخفاق لايهدد عالم العلم ولا اللغة ولا المعنى المشترك فى شئ . وعلى حد تعبير " فتجنشتين " كل شئ ظل على حاله تماما ، وأن الأساس الوحيد ، الذى هو خالص للغة أو تتطلبه اللغة ذاتها، هو الفعل الذى يجعل الناس ، بيولوجيا ونفسيا واجتماعيا ، مكونين بطريقة يتوصلون ، باستعمال اللغة ، إلى إثبات حقائق وإعطاء أو تلقى أوامر وتبادل الشكر والمدح والتهانى ، وغيرها .

يبدو لى التفكيك ، أحيانا ، ضرب من اللعب بوسع أى كائن أن يمارسه ، لنخترع ، على سبيل المثال ، تفكيكا للتفكيكية . هلم على درب ترابية الأضداد ، بإمكاننا آنئذ أن نجعل مقابل التفكيك / التمركز العقلى (التمركز الصوت عقلى قضيبى ) ، تاسيسا عليه سيكون لفظ " التفكيك " صاحب الإمتياز تابعا – فى الحقيقة – للفظ الفاقد قيمته / أى التمركز العقلى . إن التفكيكى يسعى إلى تكريس السمو التراتبى للتفكيك . ولهذا فهو ملزم بإثبات سموه وتفوقه الخلاقى ، متوسلا فى ذلك إلى وسائل فى البرهنة والإقناع ، أى باللجوء إلى قيم التمركز العقلى التى يتطلع إلى إسقاطها . غير أن المجهودات التى يبذلها لهذه الغاية آيلة للفشل ، بسبب من التبعية الحقيقية التى تضعه – بشكل مرجعية ذاتية – تحت سطوة منطق أصم ، وتحت تأثير نزعة شكية Aufhebung aporetique يتداعى التفكيك ذاته للتفكيك .

(٥)

تدفعنا المسألة الأخيرة إلى أن نفترض بأن التفكيك مصاب بفقر فكرى واضح وبديهى . غير أن هذا الفقر لايبدو بدهيا بشكل مقبول إلا للقراء الفطنين الذين تنكشف عورة الإمبراطور أمام أعينهم . فماذا حصل حتى يمارس ( التفكيك )[١] هذا القدر من التأثير على منظرى الأدب ؟ لندقق أكثر فى معنى هذا السؤال ، إذا اسعفت العبارة ، فنحن نعيش العصر الذهبى لفلسفة اللغة [٢] وهو ليس حكرا على كبار الأعلام من الذين قضوا ، من مثل " فريجة " و " راسل " و "

فتجنشتين " ، وإنما هو كذلك عصر " تشومسكى " و " كواين " و " أوستين " و " ترسكى " و " كرايس " و " دميت " و " دفدسن " و " بوتنم " و " كرايك " و " ستراوسن" و " مومطغيو " وعشرات المؤلفين من المقام الرفيع ، إنه عصر النحو التوليدى ونظرية الأفعال اللغوية وعلم الدلالات المطابقة والعوالم الممكنة . فمن غير شك ، تتضمن هذه النظريات ، بشكل أو بآخر أخطاءً ، وتكشف عن معايب . وأنها نظريات مؤقتة . ومع ذلك ، فهى تتمتع بمرتبة أرقى بكثير مما هى عليه فلسفات التفكيك من حيث الوضوح والصرامة والدقة ومجال التطبيق . وفوق كل ذلك من حيث المضمون الفكرى الذى يميزها ، فمن أين تستمد التفكيكية شعبيتها وتأثيرها فى منظرى الأدب ؟ وكيف يعقل أن يتحول هذا الفقر الفكرى الحقيقى إلى مصدر شعبية من هذا القبيل ، إذا افترضنا أننا راغبون فعلا فى فهم هذه الظاهرة . سيكون من اللازم التزود بمعارف عن ثقافة شُعَب الإنجليزية وشُعَب اللغة العصرية للجامعات الأمريكية أكثر مما أنا مزود به من معارف عنها ، ومع ذلك لاحظت أنه من بين المظاهر المتعددة للإديولوجية التفكيكية ، وجود الكثير منها فى تطابق مع المسلمات التى تنشط عددا لابأس به من المحاولات التى تشتغل على نظرية الأدب حاليا.

حصل ذات مرة أن قمت بمداخلة فى منتدى للنقد الأدبى وجدت نفسى على إثرها ، لحظتئذ أواجه مسلمتين فلسفيتين متغلغلتين فى النقاش الذى كان دائرا حول نظرية الأدب – كلتاهما منحدرتين بشكل غريب من الوضعية المنطقية – ففى المقام الأول نقول : إن الإفتراض الذى يقضى بإقامة التمييز على اساس من الصرامة والدقة ، وما لم يتحقق هذا الشرط ، يصبح التمييز غير ذى موضوع . نلاحظ بصدده ، أن العديد من نقاد الأدب لايقبلون – مثلا – مطالبتنا بضرورة توفر نظرية التخيل على معيار واضح يكون بمثابة خط فاصل ، يحدد ماهو متخيل وما هو غير متخيل . بالتالى يعتبرون اعتراضنا على غياب هذا التحديد اعتراض غير مقبول، مثلما لايجوز لنا الإعتراض على انعدام تحديد دقيق بين ماهو استعارى وما هو غير استعارى ، رغم مايترتب عن ذلك من نتائج .

إن شرط الملائمة فى كل نظرية دقيقة تعالج ظاهرة غير محددة يقتضى أن تخصص هذه الظاهرة على أنها غير محددة ، فأن يقوم التمييز على عائلة من

الحالات المتباعدة والمتقاربة والهامشية ، لايمت للتمييز بصلة . ومن كان يعتقد ، بأنه لايلزم التمييز – لكى يكون حقيقيا – شرط الصرامة ، ماعليه إلا أن يلتحق بديريدا ، وبالمشروع الذى يقضى بنسف كل التمييزات ، من هذا النوع . إن كالر يشاطرهم – فى العمق – هذه القناعة . فهو يزعم ، بأن تعبيرا ما وفى قول ما لايمكن أن يكون هذا التعبير نفسه " مستعملا " و " ممثلا " به ، فى نفس الوقت . لأن ذلك من شأنه أن يضعف – بشكل ما التمييز الذى يقيمه الفلاسفة والمناطقة ، بين الإستعمال والتمثيل ( ص ١١٩ ، ١٢٠) . بنفس العقلية ، يفترض بأنه ، إذا عبرت جملة ما عن فعل لغوى واع فى جنس معين وعن فعل لغوى لاشعورى فى جنس آخر ، فذلك من شأنه أن يثير مشكلة حقيقية بالنسبة لنظرية الأفعال اللغوية (ص ١٢٤) . كما يفترض أيضا – وعن خطأ – بأن نظرية الأفعال اللغوية تسعى إلى إقامة شكل من التمييز الدقيق بين مايحدد الوعد مما هو غير وعد ( ص ١٣٧). لكن هذا راجع – فى الحقيقة – إلى مستتبعات النظرية التى تقضى بإمكانية وجود أنواع مختلفة من الحالات الهامشية فى كنف كل عائلة من الأفعال اللغوية ، كما هو الحال فى الحياة الواقعية . هناك اعتقاد ثان راسخ ووضعى للغاية . يقضى بأن تكون المفاهيم التى تطبق على اللغة والأدب ، تستند إلى إجراء آلى فى التحقق. لكى تكون بالفعل سليمة . كذلك الأمر عندما نباشر تحديد دور القصد فى اللغة ، فكثير هم أولئك النقاد الذين يطالبون – على وجه الإستعجال – بمعيار آلى يسمح بضمان حضور المقاصد ومضمونها لكن مثل هذه المعايير لاوجود لها بالتأكيد . إذ كيف سيتأتى لنا معرفة مقاصد شخص ما ؟ سيكون الجواب أن نستأنس بكل الطرق ، مع استحضار ماقد ينجم عن ذلك من انحراف عن الطريق السليم ، لأن مسلك البحث عن المقاصد غير مأمون ولو فى الحالات التى تبدو ظاهريا – مشجعة . غير أنه إذا كانت تعوزنا الإجراءات الآلية الكفيلة بتحديد مقاصد كاتب ، أو التى تسمح بتحديد الحالة التى يكون فيها العمل متخيلا أم لا ، وتلك التى تكون فيها العبارة مستعملة على وجه الإستعارة، فذاك العوز ليس من شأنه أن يحفز أو يحرض على نسف مفاهيم القصد والمتخيل والإستعارة . إن الإستعمالات التى نقوم بها لهذه المفاهيم وللتمييزات التى نجريها بين القصدى وغير القصدى وبين الحرفى والإستعارى وبين الحالة التى يكون الخطاب فيها متخيلا وغير متخيل . كل تلك الإستعمالات ترتكز على شبكة من التطبيقات

المعقدة : لسانية واجتماعية ، فهى لاتتطلب ولاتقبل – عموما – وجود رابط داخلى صارم، أكثر مايسمح استعمال المناهج الآلية البسيطة بضمان الحضور أو الغياب لظاهرة ما . وعليه ، فإن الوضعية الأولية التى أنا منهمك فى نقدها ، تتوحد مع الإفتراض الديريدى الذى بموجبه – فى غياب الأسس المطلوبة – نبقى منذورين لحرية لعب الدوال .

هذا ، وناهيك عن مفاتن أولية أخرى تتضمنها الفلسفة التفكيكية . إن كل مهتم بالنصوص المتخيلة على وجه الإحتراف ، سيكون ، بالنسبة له ، مبعث سرور ظاهرى أن يعلم كون جميع النصوص ، مهما يكن من أمر ، تنتمى للمتخيل فى الحقيقة . وأن التبخيس الظاهرى للمتخيل ، بما هو متعارض مع الفلسفة والعلم، يمكن تفكيكه باعتباره من استباقات التمركز العقلى . فضلا عن ذلك ، سيبدو من المثير بشكل إيجابى بالنسبة لذاك المهتم أن يعلم بأن مانصطلح عليه بـ " الواقع " يتم اختزاله فى النصية . بل وستوجد حياته فيها قسرا ميسرة ، بشكل يتجاوز بكثير سعة خياله ، مادام الإنشغال – فى هذه الفرضية – قد اصبح غير ذى جدوى ، سواء كان انشغالا بمقاصد الكاتب أم بما يعنيه نص ما على وجه التدقيق أو بما يميز الإستعارى عن الحرفى داخل نص ما . وحتى مايميز النصوص عن العالم فمن الآن فصادعا لاوجود سوى للعب الدوال الحر . وأن الحد الأقصى – على مايبدو لى – والإختزال العبثى ad absurdum لهذا " الشعور بالسيطرة " الذى تفضى إليه التفكيكية ، يكمن فى إثبات جيوفرى هارتمان ، القاضى بأن يكون الناقد – من الآن فصاعدا – وليس الفنان – هو من تعود إليه المهمة الأولى فى الإبداع .

## هوامش الترجمة :

١ – ليس من المحظور التفكير بأنه إذا كان ديريدا وكالر ينكبان على قراءة شاذة لملاحظات أفلاطون وارسطو حول علاقة الكلام بالكتابة غاية فى الشذوذ ، فذلك راجع لكونهما لايأخذان فى الحسبان بأن الإغريق فى العصور القديمة كانوا يقرأون دائما بصوت مسموع وأن ممارستنا للقراءة الصامتة ظلت مجهولة بل "شئ نادر " عندهم إلى حدود العصور الوسطى ذكره :

٢ – حول مسألة الصدق يريد كالر اللعب على كلا الجدولين حيث يعلن بأن الحقيقة ضرب من الخيال ( ص ١٨) وأن " الحقيقة هى فى أن مايمكن البرهنة عليه فى إطار معين . وهذا ماتمثله الحالة ذاتها ببساطة ، أى هل يوجد أم لا من نوثق به ومن نصدقه ( ص ١٥٤) ، فالفقرة المكتوبة بخط مميز لاتتطابق مع فكرة الحقيقة باعتبارها خيالا ، بقدر ما لاتنتمى إلى الروح التفكيكية .